رسائل الاحزان[1]

في فلسفة الجمال والحب

ايام لبنان

فجرُ الهوى من ثغرها البسّام ... مُتَطايرُ اللّمحات فوق ظلامي
رفّتْ عليَّ ظلالُهُ وتنفّستْ ... بندى الشباب على فؤادي الظامي
ذهبتْ همومٌ حرّتُ في اسمائها ... وانت همومٌ ما لهنّ أساسي
في حبها والحبُّ في بأسائهِ ... أهنا لأهليهِ من الانعام
حسناءُ صوّرها الهوى في صورة ... كادت تُعيد عبادَة الأصنام
في مَنْظَر الاقمار ألمحُ وجهها ... وتُحسُّ في لمس النسيم غرامي
ولكهرباء الحب من لحظاتها ... تيّارُها المتدافع المتراي
ينسابُ في مجرى دمي متلهّباً ... فكأنهُ تيّارُ بحر ضرام
يا كهرباء الحب رفقاً إنما ... هذي « الانابيب » الضعاف عظامي

***

ذهب المنام ومن يُذكّرهُ الهوى ... قمراً فلا يلقى الدُّجى بمنام
يا ليلُ انت صحيفة ملء الفضا ... وما بها سطرٌ من الأحلام
في كل نجم من نجومك بَسْمَة ... وقفتْ تُشيرُ الى الهوى بسلام
وكأنّ أفقك والنجوم سطورهُ ... تاريخ ما أسلفتُ من أيامي
متألّقُ الجنبات ، مشبوبُ الضيا ... خضلُ الندى ، صافي الشمائل سامي
يا ليلُ أين الفجرُ . أين زمامهُ ... أيام يُمسكهُ الهوى بزمام
أيام (لبنان) وكانت ساعةً ... غفرتْ ذنوب الدهر في اعوام
غفلَ الزمان هناك من غفلاتهِ ... فقررتُ للذّات من آلامي
وقطعتُ من ثوب الشباب عصابةً ... وربطتُ من جرح الحياة الدامي
ومضيتُ أصمدُ ذروةً في ذروة ... كالنجم مشتملاً عليَّ غمامي
في كل منزلة وكلّ ثنيّة ... يضع الهوى قمراً يضيء أمامي

(١) تحت الطبع ويصدر في اواخر ابريل

وعلوتُ حتى عن امانيّ الحيا ... ة وغبتُ حتى غبتُ عن اوهامي
وسموتُ في أفق يذوبُ نسيمهُ ... شغفاً اذا ما اهتزّ غصنُ قوام
افق يسطلُّ على الحياة وهمّها ... إطلال مغفرةٍ على الآثام

***

لبنانُ فنٌّ في الطبيعة قائمٌ ... دقّتْ محاسنهُ على الافهام
متكبّرٌ حتى على إكبارها ... متعظّمٌ حتى على الإعظام
قممٌ تغطّى بالسماء كأنها ... في الكون أمثلةٌ على الإبهام
ثُمٌّ قوارعُ علّمت ابناءها ... عند الحوادث كيف رفعُ الهام
ومدارج تُنبيك مُنحدراتُها ... ان الحياةَ مذاهبٌ ومرامي
تركتْ بفيها أينما حكمتْ بهم ... نفذوا على الأسباب كالأحكام
وترى هنالك كلّ شيء ناطقاً ... أن لا يعيش هنا سوى المقدام
جبلٌ تسنّع في الطبيعة عيزةً ... وشهابةً كالناب في الضرغام
يتقلّبُ التاريخُ من ابنائهِ ... في الغرّ بين فوارسٍ وكرام
فالفوزُ لم يبرحْ على أرجائهِ ... من مبتسمٍ او بين فيرٍ مدجّسام
جبلٌ اذا وصفوا الرواسيَ لم يكن ... أبداً لصدر الأرض غيرَ وسام

***

يانسمةَ الجنّاتِ من تلك الرُّبى ... كم ذا يطولُ تلهّفي وهُيامي
بيني وبينكِ بحرُ دمعٍ يترتمي ... من عين مهجورٍ وبرّ خِصام
لهفي على ربع الشآم ونظرةٍ ... من أرضها لهوًى هنالك نامي

***

أرضٌ بنوها الصيدُ كيف تواثبوا ... عتَبِ الحياةُ لهم بكل مرام
حملوا النبوّةَ وهي روحُ بلادهم ... ومضوا بوحي العزم والإقدام
فُهمُ بأيّ الارض حلّ نزيلهم ... قومٌ قضت لهمُ السما بمقام
أرضٌ كساها الوحيُ جوًّا عاطراً ... وبنى لها افُقاً من الالهام
الله زيّنها بكل بديعة ... باحت بأسرارٍ من الإلهام
فهنا يريك الحسنُ صفحةَ شاعرٍ ... وهنا يُريك صحيفةَ الرسّام
والحسن مختلفُ المواطن في الورى ... لكنما حسنُ الطبيعة شامي

مصطفى صادق الرافعي